أحلام لها تاريخ

٦

أحلام النبى ﷺ
فى السنة المطهرة

الطبعة الثانية

بقلم :

أ. د. محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر الشريف

دار المعارف

رقم الإيداع	٢٠١٢ / ١٦٧٧٢
الترقيم الدولي	ISBN 978 - 977 - 02 - 7665 - 5

٣٦/ ٢٠١٢/ ٧

طبع بمطابع دار المعارف

تصميم الغلاف

أحمد عبد النعيم

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧- فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

تمهيد

القرآن والسنة

لَقَــدْ نزلَ جبريلُ الأمينُ على سـيدنَا محمدٍ ﷺ بكتابٍ مِن عندِ الله، عَرَبى مُبين، مُتعبَّدٍ بتلاَوته يقرأهُ المسلمُ فِى صلاتهِ آناء الليلِ وأطرافَ النهارِ بالنَّص الأوَّلِ كما تلقَّاهُ الرسولُ الكريمُ مِنْ فَمِ الوحيِ منْ غيرِ تحريفٍ وَلاَ تبديلٍ وَلاَ تغيير.. وهوَ مُعجزٌ بأقصرِ سُورةٍ منهُ فيقــفُ الجنُّ والإنسُ حَيارَى أمامَ الظاهرةِ القرآنيَّة لا يأتونَ بمثلهَا، وهوَ منقولٌ إلينَا تواترًا جيلاً بعدَ جيلٍ إلى أَنْ يرثَ الله الأرضَ ومنْ عليهَا. فالمسلمونَ صغارًا وكبارًا، رجالاً ونساءً، عربًا وعجمًا يحفظونَ القرآنَ بلسانٍ عَربى مُبين..

ومنْ تمام الإســلامِ وَجُزء العقيــدةِ الذِى لا ينفصلُ أَنَّ ســيدنَا محمدًا ﷺ هوَ المبلِّغُ عنْ ربِّه والمبيِّنُ لوحْيهِ، والموضِّحُ لتفَاصيلِ شَرْعه، وأنَّ الرسولَ قدْ أُوتى القرآنَ ومثلَهُ مَعَه.

فالسُّنةُ النبويةُ الصحيحةُ هى المصدرُ الثانِى للتَّشْريع الإسْلاَمى، وَقَدْ تكفَّلت السُّــنةُ ببيَانِ أَركانِ الإسلاَم منَ الصلاةِ والزَّكاة وَالصيامِ

وَالحجِّ فِى تفصيلَات كثيرة وَقدَّمت أَخْلاقيات المسْـلم وسُـلوكياته فى الحياةِ العامَّة وَالخَاصَّة.

وقامَ العلماءُ بجهدٍ خارقٍ فِى دراسـةِ السنةِ دِرَايةً وروَايَة حتَّى حفظُوا للمسْلمينَ مَصدرَ تشرِيعهم الثانِى.

ونحنُ نقدمُ فِى هذَا الجزءِ منْ سلسـلةِ «أَحْلاَم لَهَا تَارِيخ» أحلاَمَ النبى ﷺ من خلالِ السُّـنةِ النبويَّة المطهَّرةِ وقد أَخذْنَا نماذِجَ منهَا وَردت فِـى أصحِّ الكتـبِ بعدَ القـرآنِ الكريم وهوَ كتـابُ صَحِيح البخَارِى.

وعسَى الله أَنْ ينفعَ بهَا عَامَّة المسلمينَ شبابًا وشيُوخًا..

والله ولى التوفيق

أ. د. محمد سيد أحمد المسير

رؤيا فى الغيرة

أخرجَ البخارىُّ فِى صحيحهِ بسـندهِ عَنْ أَبِـى هُريرة رضى الله عنه قالَ:

بينَا نحنُ جلُوس عندَ رسـولِ الله ﷺ قـالَ: «بينَا أنَا نَائم رَأَيْتنى فِى الجنَّةِ فإذَا امرأةٌ تتوضَّأُ إلى جَانب قصرٍ، قلتُ: لمنْ هذَا القصْر؟ قَالُـوا: لعمرَ بن الخطَّاب، فذكرتُ غَيرتـه فَوَلَّيتُ مُدْبرًا، فبَكَى عُمر وقالَ: أعليكَ - بأبِي أنتَ وَأُمِّى يا رسولَ الله - أَغارُ؟».

○○○

لقدْ رأَى النبىُّ ﷺ فِى المنامِ أنهُ دخلَ الجنةَ وَشـاهدَ فيهَا قصرًا مَشِيدًا وبجوارهِ امرأةٌ تتوضَّأ فسألَ عَمَّن يملكُ هذَا القصْر فقيلَ: إنهُ لعمرَ بن الخطابِ، فهمّ الرسولُ بدخُوله ليرى مَا فى داخلهِ منْ أثاثٍ وَرِيَاشٍ وَزُخرفٍ، فتذكرَ أنَّ لعمرَ غيرة شَدِيدَة عَلى نسائهِ وَأهلِ بيتهِ فامتنعَ الرسولُ ﷺ عَنِ الدُّخول..

فلمَّا قصَّ الرسولُ الكريمُ رؤْيَاه عَلى الصَّحابةِ وَفيهم عمرُ جَالس بكَـى عمرُ رضى الله عنهُ منْ فضلِ الله عليه وبشـرى الجنَّةِ لهُ ثُمَّ

اعتـذرَ للرسـولِ بأنهُ لا يمكنُ أَنْ يغَار منَ دُخول الرسـولِ ﷺ بيتهُ فالرسـولُ هو الإنسـانُ المعصـومُ والنبىُّ الخاتـمُ وصاحبُ الخلقِ العظيمِ، وفِى بعضِ الروايَـات قولُ عُمر: وهلْ رفعَنِى اللهُ إلاَّ بكَ ؟ وهلْ هَدَانى الله إلاَّ بكَ ؟

وهـذِه الرواياتُ وإنْ كانَ للعلماءِ فيهَا مَقَال، فإنَّ الموقفَ يدلُّ عليهَا. والعبارةُ «أعليكَ أغارُ» تشيرُ إليهَا وتؤكدهَا..

ويرى أهلُ التعبيرِ أَنَّ القصرَ فِى المنام عملٌ صالحٌ لأهْلِ الدينِ، ولغيرهمْ حبسٌ وَضيقٌ، وقدْ يُفسرُ دخولُ القصرِ بالزوَاج.

والمـرأةُ التِى تتوضأُ قيلَ إنهَا الرُّمَيْصَاء وهىَ أُمُّ سُـليم امرأةُ أَبِى طَلْحة، وقدْ تكونُ إحدَى نسَاء بيتِ عُمر.

وجاءَ فِى بعضِ الرِّوايَاتِ «ورأيتُ قصرًا بفنائهِ جَارِيَة».

والوضوءُ قد يكونُ بالمعنَى الشَّرعى، وقدْ يكونُ بالمعنىَ اللغوى منَ الوَضَاءَةِ وهىَ النظافةُ والحسْن.

وامتناعُ الرسـولِ ﷺ عنْ دخُول القصـرِ احترامًا لغيرة عُمَر عَلى نسـائهِ، ومرَاعَاة لحقِّ الصُّحبة، فإنَّ الصاحبَ أمينٌ عَلى صَاحبه فِى مالهِ وأهلهِ وَعِرْضه.

وبكاءُ عُمر رضى الله عنه سُرور وتشوُّق وخُشُوع فإنَّ الرؤيَا تدلّ عَلى فضيلَة عُمر وتبشِّره بالجنَّةِ، وقدْ يكونُ البكاءُ منْ شدَّةِ حرْصِ الرسولِ ﷺ عَلى حُرمَاتِ عُمر.

وقولـهُ «بأبى أنتَ وأُمى يا رسـولَ الله» تعبيرٌ يُـراد به الفِدَاء، أَىْ أَفْدِيكَ بأعزِّ مَا فِـى الدنيَا وهما الأبُ والأُم فهمَا أرحمُ الناسِ بأَبنائهمَا، ولهذَا قالَ أميرُ الشعراءِ أحمد شوقى مادحًا رسولَ الله ﷺ :

وإذَا رحمتَ فأنتَ أمٌّ أوْ أَبٌ هذَانِ فِى الدنيَا هُمَا الرُّحماءُ

وَقوله: «أعليكَ أغـارُ» منَ التعبيراتِ المقلُوبةِ، والأصلُ أَنْ يُقال أعليهَا أغارُ منكَ؟ ولعلَّ عُمر أخطأَ منْ شدةِ الفَرح كَما فِى الحديثِ الشريفِ الذِى خاطبَ فِيه الرجُلُ ربهُ قائلاً: أَنتَ عَبْدى وأَنَا ربكَ.

ويمكنُ القولُ بـأنَّ «على» بمعْنَى «مِنْ» فحـروف الجرِّ ينُوب بعضُها عنْ بعضٍ والمعنَى: أمنكَ أغارُ؟

وَالغِيرةُ مُشـتقَّةٌ مـنْ تغيُّر القلبُ وَهيجَـان الغضَب فيهِ، وتقعُ الغيرةُ مـنَ الرجُل وَالمرأةِ، وَقدْ تكـونُ مَحْمُودةً وَقدْ تكونُ غَير محمودَةٍ.

فـإذَا كانتِ الغيـرةُ فِى إطارِ الحُدود الشـرعيَّة فهـىَ محمودَة بمعْنى أَنْ يَغَارَ الرجلُ عَلى نسائِهِ فلاَ يتركهنَّ يفعلْنَ الحرامَ أَوْ يقفْنَ مَوَاقف الشـبهَة أوِ الخضُوع بالقولِ أَوْ إبـدَاء الزينةِ أَمَام الأَجانب، فهذِهِ غيرةً يحبهَا الله ورسولُه.

وَفى حديثٍ صحيحٍ «يَا أُمَّةَ محمدٍ مَا أحدٌ أَغير مِنَ الله أَنْ يرى عبدَهُ أَوْ أمتهُ تزْنِى، يَا أمةَ محمدٍ لَوْ تعلمونَ مَا أعلمُ لضحكتمْ قليلاً ولبكَيْتُم كثيرًا».

فإذَا تحوَّلت الغيرةُ إلى شكُوك وَأَوهَام واتهامَاتٍ بالبَاطِلِ فتنقلبُ إِلَى الحرام وقد حذَّرنَا القرآنُ مِنَ التسـرُّع إلى تصْديق الشـائعَات فقـالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٢].

رؤيا فى الزواج

أخـرجَ البخارىُّ فِى صحيحهِ روَايات عدَّة بشـأنِ رؤيَا النبىِّ ﷺ للسـيدةِ عَائشـة رضى الله عنهَا فِى المنامِ قبلْ أَنْ يتزوجهَا، منهَا: قولُ رسولِ الله ﷺ لعَائشةَ:

«أريتُكِ فِى المنامِ مرَّتيْنِ: إذَا رجلٌ يحملُكِ فِى سَـرَقةٍ منْ حريرٍ فيقولُ: هَذِهِ امرأتكَ، فأكشـفهَا فإذَا هِـىَ أنتِ فأقولُ: إنْ يكنْ هذَا منْ عندِ الله يُمْضِهِ».

لقـدْ كانتْ هذِه الرؤيَا قبلَ الهجرةِ عقبَ وفاةِ السَّـيدةِ خَديجَةَ بِنْت خُويلد رضى الله عنهَا، ورأَى الرسولُ رجلاً يحملُ امرأةً تُغطيهَا قطعةٌ منَ الحريرِ الخَالِصِ وقدَّمهَا للرسـولِ ﷺ، وَفُسِّـر هذَا الرجلُ بالملكِ جِبريلِ الأَمينِ فِى روايَةٍ أُخرى.

وقدمَ الملكُ المرأةَ المغطَّـاة بالحريرِ عَلى أَنها زَوجَة للنبى ﷺ فأرادَ الرسـولُ التعـرُّف عَلى هذِهِ المرأَة فقالَ للملكِ: اكشِـفْ عَنْ وجهِهَا فكشفَ الملكُ فإذَا هِى السَّيدةُ عَائشة.

وهناكَ روايتَانِ إحداهمَا تضيفُ الكشْـفَ إلى الملكِ «فكشفَ» والأُخرى تُضيفُ الكشـفَ إلى الرسُولِ «فأكشفهَا»، وقيلَ فِى الجمعِ بينَ الروايَتيْنِ أنَّ نسـبةَ الكشفِ إلى الرسُـولِ لأنهُ الآمرُ بِهِ ونسبةُ الكشفِ إلى الملكِ لأنهُ الذِى بَاشَر الفعْل.

فلمَّا اسـتيقظَ الرسـولُ منْ نومِهِ فكَّر فِى الأمـرِ وَاهْتم بِهِ وقالَ تفويضًا لله ورضًا بحُكمِهِ وحِكْمتِهِ: إنْ يكنْ هذَا منْ عندِ الله يُمْضِهِ. فالقضاءُ الإلهى لا مردَّ لهُ والإيمانُ بِهِ وَاجبٌ..

وتحقَّقتِ الرؤيَا فخطبَ رسولُ الله ﷺ عَائشةَ وعقدَ عليهَا فِى مكَّة قبلَ الهجرةِ وبنَى بهَا فِى المدينةِ المنورَة بعْد الهجرةِ، وَكانتْ أشهر نِسَائه وَأحبهنَّ إليهِ فهىَ الصِّديقةُ بنْتُ الصِّديق.

وظلَّ الوحىُ يباركُ هذَا الزواجَ ويدافعُ عنهُ وكانَ جبريلُ الأمينُ حينَ ينزلُ عَلى رسولِ الله يُحمّلُهُ السَّلام لعائشَةَ، ففِى صَحيح الحديثِ أَنَّ النبىَّ ﷺ قالَ للسَّيدةِ عَائشة: يَا عَائش هذَا جبريلُ يُقرئكِ السَّلام فقالتْ: وعليهِ السلامُ ورحمةُ الله وبركاتهُ، تَرَى مَا لاَ نَرَى.

وحينَ خاضَ المنافقونَ والذينَ فِى قلُوبهم مرضٌ فِى عرْض السَّيدة عَائشة كذبًا وزُورًا نزلَ القرآنُ الكريمُ ببراءَةِ عَائشة وطَهَارتها وَعِفتها فقالَ جلَّ شأنهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة النور: الآية ١١].

وتوالت الآياتُ فِى سُورة النُّور تعَلِّم المؤمنينَ أدبَ الحديثِ وَكيفيَّة مُوَاجهة الشائعَات وَضرورَة المحَافظة عَلى الأعراضِ، وَخُتمتْ بقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النور: الآية ٢٦].

وَمَا يقولهُ بعضُ المسْتشــرقينَ منْ أَنَّ عائشةَ يومَ تزوجهَا رسولُ الله كانتْ طفلةً بريئةً لا تعرفُ شيئًا منَ العلاَقة بينَ الرجُل والمرأةِ - هــذَا القولُ هوَ الكذبُ وَالافتراءُ، فإنَّ البيئةَ العربيَّة بحرارَة جوهَا وَنقائــهِ وَظُروفها المناخيَّة تجعلُ الأُنثــى وَالذكرَ فِى كاملِ نضجهمَا فِى وقتٍ مُبَكر..

ثمَّ إنَّ خولةَ بنت حَكيم التِى عَرضتْ عَلى الرسُــول الكريم فكرةَ الزوَاج بعدَ وَفاة السَّــيدةِ خديجَةَ رشَّــحت لهُ اثنتيْن إحداهمَا بِكْر وهىَ عَائشَة والأُخرى ثَيِّب سَوْدة بنت زمْعَة، وليسَ منَ المنطقِ أَنْ تُرشحَ لهُ طفلةً صَغيرةً غَير مُدركة لمعَالم الحياةِ الزوجيَّة..

هــذَا وقدْ تُوُفيت السـيدةُ عائشــةُ رضى الله عنهَا ســنةَ سـبْعٍ وخَمْسين وَقِيل سنة ثمانٍ وخمْسينَ للهجرةِ ليلَة الثلاثاء لسبْع عشرة لَيْلة خلتْ منْ شــهرِ رمضانَ وأمِرتْ أَنْ تُدْفن بالبَقيعِ ليْلاً وكانتْ قَدْ تركتْ حُجْرتها ليدفنَ فيهَا رسولُ الله ﷺ وصَاحباه أبو بكرٍ الصِّديق وعُمرُ الفَارُوق رضىَ الله عنهمَا.

رؤيا فى تفاوت الأعمال

أخرجَ البخارِىُّ فِى صحيحهِ بسندهِ عَنْ أَبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ رضى الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «بينَا أَنَا نائمٌ رأيتُ الناسَ يُعرضُونَ

عَلـيّ وَعَليْهم قُمصٌ، منْهَا مَا يبلغُ الثَّـدْيَ ومنهَا مَا يبلغُ دونَ ذلكَ، وَعُرض علىّ عمرُ بنُ الخطَّـاب وعليْهِ قميصٌ يجرُّهُ، قالُوا فمَا أَوَّلْتهُ يَا رسولَ الله؟

قالَ: الدِّين».

هَا نحنُ أولاَء أمامَ رؤيَا نبويَّة كَريمة، لقدْ رأَى رسولُ الله ﷺ وهو نائـمٌ - الناسَ يمرُّونَ عليهِ وهمْ يرتدونَ ثيابًا عَلى مَقَاييس مُتباينَة، منهَـا مَا يبلغُ الثـديَ ومنهَا ما يبلغُ دونَ ذلـكَ. فَالقُمص أَوِ الثيابُ مُتفَاوتةٌ فِى الطُّول، فما يصلُ إلى الثدي يكونُ قصيرًا جدًّا، لاَ يُغطِّى مَا يجبُ أَنْ يُسْتر من جسْمِ الإنسَان، فالقميصُ يبدأُ منَ الحلْقِ إلَى أَسْفل، ويكونُ قولهُ «ما دونَ ذلكَ» أكْثرَ طولاً ممَّا قبلهُ.

وَيُحْتملُ أَنَّ المرادَ بقولهِ «مَا دونَ ذلكَ» الأَقصَر ممَّا قبلهُ..

ويؤيدُ المعنىَ الأولَ ما جاءَ فِى بعضِ الروَايات «فمِنْهُمْ منْ كانَ قميصهُ إِلى سُـرَّته، ومنهُم مـنْ كانَ قميصُهُ إِلى رُكبتيْهِ، ومنهُم منْ كانَ قميصهُ إِلىَ أَنْصافِ سَاقيْهِ».

ومـرّ عمرُ بـنُ الخطَّاب رضى الله عنهُ عَلى رسـول الله ﷺ فِى رؤْياهُ وهوَ يرتدِى قميصًا سَابغًا يجرُّهُ..

ومـنَ المعلُومِ أَنَّ الرؤيَا قدْ تقعُ كَما تُرى، وقدْ تحتاجُ إلى تعبيرٍ وتفْسِير، والرؤيَا التِى فِى هذَا الحديثِ من النوعِ الذِى يُؤوَّلُ، ولهذَا تسـاءلَ الصحابـةُ رضى الله عنهم وَقَالُوا: فمَا أَوَّلْتَهُ يَا رسـولَ الله؟ وأجابَ المصطفَى الكريمُ بأنَّ ذلكَ يرادُ بهِ تَفَاوُت النَّاس فِى الدينِ وَآدَابـه، فهناكَ المصْطفـوْنَ الأخيَار، وهناكَ منْ غَلبَت حَسـناتُهم، وهنـاكَ مَنْ خَلَطُوا عملاً صالحًا وآخرَ سـيئًا، وهناكَ الخارجُونَ على الدينِ المفسدونَ فى الأرض قال تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة فاطر: الآية ٣٢].

فالرسولُ ﷺ فَسَّر القميصَ بالدينِ بجامعِ السَّتر فِى كلٍّ، فالقميصُ يَسْـتر العورةَ فِى الدنيَا، وَالدينُ يَسْـتر العورةَ فى الآخـرةِ، والقميصُ بهِ كمالُ الإنسَانِ فِى مظهرِه، والدينُ بهِ كمالُ الإنسانِ فِى حقيقتهِ وبَاطِنه..

وقـدْ نبَّهَنَا الله تعالَى مُنْذُ الخَلْقِ الأولِ أنَّ مهمةَ الشـيطانِ هىَ كشْف عورَة الإنسانِ ليمارسَ الفَاحشةَ وَالخطيئةَ، وأَنَّ الله تعالى قدْ خلقَ لنا مَا نُوارِى به عوراتنَا منَ اللباسِ حتَّى نكونَ أكثرَ جمالاً فإنهُ لاَ جمالَ فِى كشفِ العورَاتِ..

وأوحَى الله إلينا عَلى ألسنةِ رسُلِهِ الكرم مَا نحفظ به كرامتنا ونحققُ بهِ إنسَانيتنَا وَنَرْقَى بهِ روحًا وعقلاً، ونسمُو بهِ سلُوكًا وخلقًا، وهوَ الدينُ بعقائدِهِ وَشرَائِعه..

قالَ الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾

[سورة الأعراف: الآية ٢٦-٢٧].

وَبَقى منَ الرؤيَا النبويَّةِ الشريفةِ أَنَّ لعمرَ بنِ الخطَّاب رضى الله عنهُ فضلاً وتشريفًا ومنزلةً فِى الدينِ لسابقتهِ فِى الإسلامِ وجهادِهِ معَ رسولِ الله ونصرتهِ للمسلمينَ وَخدمته لَهُمْ، فهوَ منْ أعلامِ الصحابةِ المبشَّرينَ بالجنَّةِ وَالفائزينَ بالرِّضوانِ الأكْبرِ..

رؤيا فى وصف الأنبياء

أخرجَ البخارىُّ فِى صحيحهِ بسندهِ أَنَّ عبدَ الله بن عُمر رضى الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «بينَا أَنَا نائمٌ رَأيتنى أطوفُ بالكعبةِ فإذَا رجُل آدم سَبطُ الشَّعْر، بينَ رجليْنِ، ينطفُ رأسُهُ ماءً، فقلتُ: منْ هذَا؟ قالُوا: ابن مريم».

سيدنَا محمدٌ ﷺ ولدَ عام ٥٧١ م، وَبُعث عَلى رأسِ أَربعينَ عامًا منْ مَوْلدهِ الشَّريف، وعاشَ ثلاثًا وستينَ سنةً، وَخُتمتْ بهِ النُّبُوةُ وَالرسَالة التِى بَدأتْ بآدمَ عليه السَّلَام ومرَّت بنوُح وَإبَراهيمَ وإسمَاعيل وإسحق وَيعقُوب ويوسف وموسَى وهارونَ وداودَ وسليمانَ وزكريَّا ويحيَى وعيسَى ابن مريم وَغيرهم كَثير.. كَمَا قالَ تعالَى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾

[سورة النساء: الآية ١٦٤].

هَؤلاَء الأَنبياءُ والرسُل لمْ يرهُم رسولُ الله ﷺ؛ لأَنهم سبقوهُ بأحقابٍ ودُهورٍ مُتطاولة، لكنَّ الله - جلَّت حكمتهُ - وضعَ أشْكَالهم أمامَ الرسولِ الكريم فِى المنامِ وَالتقَى بِهِم لَيْلة الإسراءِ والمعرَاجِ فِى القُدس الشريفِ وَفِى السمواتِ العُلاَ..

وَيُضاف إلى الحديثِ الشريفِ السَّابق مَا أخرجهُ الإمامُ مُسلم فِى صحيحهِ بِسندهِ عنْ جَابر بنِ عبد الله رضى الله عنهمَا أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «عُرض عَلىّ الأنبياء فإذَا مُوسى ضَرْبٌ منَ الرجالِ كأنهُ مِنْ رجَال شُنُوءة، ورأيتُ عيسَى ابنَ مريم فإذَا أقربُ مَنْ رأيتُ بهِ شبهًا عُروة بن مسْعُودٍ الثَّقفِىّ، ورأيتُ إبراهيمَ فإذَا أَقربُ مَنْ رَأيت بهِ شبهًا صَاحبكم يَعْنِى نفسَه»..

لقدْ رأى رسولُ الله الأنبياءَ فِى تصْوِير إلهى نقلَ الماضِى إلىَ الحَاضر، فكانَ مُوسَى عليه السلام نوعًا منَ الرجالِ كأنهُ مِنْ رجَال شنُوءة، وَهِى قبيلةٌ مَعْروفة بينَ العرب، سُمُّوا بذلكَ لأنهم تَشَانَئُوا وَتبَاعَدُوا مِنَ الأَدْنَاسِ وَالرَّذائِل، وجَاء فِى روايةٍ أُخرى «رجُل آدم طِوَال» أَىْ أنَّ موسَى عليه السَّلام أَسوَد اللَّونِ طَوِيل القامَةِ.

وكانَ عيسىَ ابنُ مريمَ عليه السَّلام جَعْدًا مربُوعًا، وَفِى روَايةٍ «مرْبُوع الخَلْقِ، إلى الحمرةِ والبيَاض، سَبطَ الرَّأس» وَفِى روَاية «كأنمَا خرجَ مِنْ ديماس» والمعنَى أَنَّ عيسىَ ابنَ مريم جَعْدٌ أىْ رجلٌ مُكْتنزُ الجسْم، أَوْ شَعْرهُ بينَ الخشِن وَالمسْترسِل، وهوَ مربُوع أىْ ليسَ بالطويلِ البَائن ولاَ بالقصيرِ الشَّائِن، ولونهُ يجمعُ بينَ الحُمْرةِ وَالبَيَاضِ، وهوَ فِى نضَارتهِ وصَفَاء لونهِ وجمالهِ كأنهُ خرجَ لفورهِ منْ مُغتسلٍ وَحمَّام..

ولقدْ شبهَ الرسولُ الكريمُ عيسىَ ابنَ مريم بعروة بنِ مسْعُود الثَّقفى وهوَ أحدُ وُجَهاء العَربِ، وقدْ قالَ الوليدُ بنُ المغيرة المخزُومى: لوْ كانَ مَا يقولُ محمدٌ حقًّا لأُنزلَ القرآن علىّ أَوْ عَلى عُروة بن مسْعُود الثقفى، قالَ تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الزخرف: الآية ٣١] والقريتانِ همَا مكَّة وَالطَّائف.

وقدْ أسلمَ عروةُ بنُ مسعُود بعدَ فتحِ مكَّةَ وَغزوةِ الطَّائف وأدركَ الرسولَ قبلْ أنْ يصلَ إلى المدينةِ، فأعلنَ إسلامهُ واسْتأذنهُ فِى أَنْ يرجعَ إلى قريةِ ثَقِيف يدْعُوهم إلى الإسْلَام ورجَا ألاَّ يُخالفوهُ لمنزلتهِ فِيهم فلمَّا أظهرَ لهُم دينَهُ ودَعَاهم إلى الإسلام رَمَوْهُ بالنبْلِ منْ كلِّ وجْهٍ فأصابهُ سَهْمٌ فقتلهُ وقالَ وهوَ يُودع هذهِ الحيَاةَ «كرامةٌ أكرمنِي الله بهَا وشهادةٌ سَاقها الله إلىَّ»..

هذَا وقدْ شبَّهَ رسولُ الله إبراهيمَ الخليلَ بنفْسهِ الشريفَة وهيئتهِ الكريمةِ فهوَ ﷺ من نسْلِ إسمَاعيل بن إبرَاهيم عليهمَا السَّلام، وهوَ دعوةُ أبيهِ إبرَاهيم عندمَا قالَ وهو يرفعُ القواعدَ منَ البيتِ الحرام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

[سورة البقرة: الآية ١٢٩].

وقد امتدَّ هذَا الشبهُ الخِلْقى إلى الشبهِ العمَلى فدعَا رسولُ الله للمدينة كما دعَا إبراهيم لمكةَ، وجعلَ الرسولُ المدينةَ حرمًا آمنًا كما جعلَ إبراهيمُ مكةَ حرمًا آمنًا..

وَفِى صحيح مُسلم أنَّ الناسَ كانُوا إذَا رأَوْا أولَ الثمرِ جاءُوا بهِ إلىَ رسولِ الله ﷺ فإذَا أخذهُ قالَ: «اللهمَّ باركْ لنَا فِى ثمرنَا وباركْ لنَا فِى مدينتنَا وَباركْ لنَا فِى صَاعنا وباركْ لنَا فِى مُدِّنَا، اللهمَّ إنَّ

إبرهيم عَبدك وخليلكَ وَنبيــك وإنىِّ عبدك ونبيكَ، وإنهُ دعاكَ لمكَّــةَ وإنىِّ أدعُــوكَ للمدينةِ بمثْل مَا دعــاكَ بهِ لمكةَ وَمثلهُ معهُ».

ثمَّ يدعُو أصْغرَ وليدٍ يراهُ فيعطيه ذلكَ الثَّمر..

رؤيا فى الهجرة

أخرجَ البخارىُّ فِى صحيحهِ أنَّ النبىَّ ﷺ قالَ: «رأيتُ فِى المنامِ أَنــى أُهَاجــر منْ مكةَ إلــىَ أرضٍ بهَا نَخْل، فذهــبَ وَهَلى إلى أنها اليمامَة أَوْ هَجَر، فإذَا هِى المدينةُ - يَثْرب».

هذهِ رؤيَا مناميَّة - ورؤيَا الأنبيَاءِ حقٌّ وَوحْى، رأَى فيهَا المصْطفَى الكريمُ أنهُ خرجَ مهاجرًا منْ مكةَ إلىَ أَرْضٍ يكْثُر فيهَا النخلُ، فظنهَا النبىُّ ﷺ اليمامةَ أَوْ بلدة هَجَر فِى البحرينِ وَلمْ يتوقَّعْ أنهَا المدينَةُ ولكنْ فِى مرحلةٍ أُخرى تأكدَ النبىُّ ﷺ أنهَا المدينةُ فحدَّثَ المسلمينَ وقالَ: إنىِّ رأَيتُ دَارَ هجرتكُم ذاتَ نَخْلٍ بينَ لابتيْنِ وهمَا الحرَّتَانِ. والحرَّةُ أرضٌ حجارتهَا سُود.

والهجرةُ قدرٌ إلهىٌّ أَعْلى ســبقتهُ إرهَاصَاتٌ وَمقدمَاتٌ هَيَّأَتْ لهُ، فعندمَا فجأَ الوحىُ سيدنَا محمدًا ﷺ فِى غارِ حِرَاء لأوَّلِ مرَّةٍ وَرَجعَ

إلى زوجهِ السَّـيدةِ خدَيجةَ قائلاً: زمِّلُونـى. زَمِّلونِي، وقصَّ عليهَا مَا حدثَ انطلقتْ بهِ إلى ابنِ عمهَا وَرَقة بن نَوْفل أَحَد حنفَاء الجاهليَّة الذينَ رفضُوا وثنيَّةَ قُريش وبحثُوا عنِ الدينِ الصحيحِ وقرأَ كثيرًا منْ كُتب اليهُودِ وَالنصارَى وتعلَّمَ العبرانيَّة.

فلمَّا اسْـتمعَ ورقةُ إلى حَديث سـيدنَا محمدٍ ﷺ واستعادَ فكرهُ عنِ الوحْى وَبَشَائر النبوةِ فِى الكتبِ السَّابقةِ قالَ فِى يَقينٍ وصدْقٍ: هـذَا الناموسُ الذِى كانَ ينزلُ عَلى موسَـى، يَا ليْتنِى فيهَا جَذَعًا[1]، ليتنِى أكونُ حيًّا إذْ يُخرجك قومُكَ.

فقالَ الرسولُ الكريمُ: أَوَ مُخْرجى هُم ؟

قـالَ ورقةُ: نعـمْ لَمْ يأتِ أحدٌ بمثلِ مَا جئتَ بـهِ إلاَّ عُودِى وإنْ يُدركنِي يومُكَ أنصركَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

إنَّ الهجرةَ إلى يثربَ - التِى سمَّاها الرسولُ المدينةَ - هىَ اختيارُ الله للمسـلمينَ ولهُ الحكمةُ البالغةُ، لقدْ كانَ فِى يثربَ تيَّار فكرىٌّ دِينى مُهيَّأٌ للرسَالةِ الإسْـلامية، فأهلُ الكتابِ المقيمونَ فيهَا بَشَّروا

(١) يريدُ ويتمنَّى أنْ يكونَ شـابًّا يسـتطيعُ الدفاعَ عَنِ الرسولِ الكريم، لأنَّ ورقةَ فِى هذَا الوقتِ كانَ شيخًا هَرِمًا قَدْ عَمِىَ.

الأَوس وَالخزْرج[1] بالنبىِّ الجديدِ الذِى حانَ وقتُ ظُهُوره بلْ أعدُّوا أنفسهمْ للتحالفِ معهُ وَمُحَاربَة العرب.. قالَ الله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

[سورة البقرة: الآية ٨٩].

وَفِى سببِ نزولُ هذهِ الآية يَرْوى ابنُ اسحق بسنده عنْ رجالٍ منَ الأنصارِ: «إنَّ ممَّا دعانَا إلى الإسلام - معَ رحمة الله تعالى وهداه - لما كُنا نسمعُ منْ رجال يَهُودٍ، كنَّا أهلَ شركٍ، أصحابَ أوثانٍ، وكانُوا أهلَ كتابٍ، عندهُم علمٌ ليسَ لنَا، وكانتْ لاتزالُ بيننَا وبينَهمُ شُرُور.

فإذَا نلْنَا منهم بعضَ مَا يكرهونَ قالُوا لنَا: إنهُ تقارب زمَانُ نبىٍّ يبعثُ الآن، نقتلكُم معهُ قتْلَ عَادٍ وَإرَم.

فكنَّا كثيرًا مَا نسمعُ ذلكَ منهُم، فلمَّا بعثَ الله رسولَه ﷺ أجبناهُ حينَ دعانَا إلى الله تعالى وعرفْنَا ما كانُوا يتوعدوننَا بهِ، فبَادرْنَاهُم إليْهِ فآمنَّا بهِ وكفرُوا بهِ وَفِيهم نزلَت هذهِ الآيات من البقرة..»[2].

---

(١) الأَوس والخزْرج همَا القبيلتانِ العَربيتانِ اللَّتانِ كانتَا تَسْكُنَان يثربَ قبلَ الهجْرةِ.

(٢) الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام - للإمام السهيلى جـ ١ ص ٢٤٥.

وَلاَ ننْسَى أنَّ الأَوس وَالخزْرج لمْ يكُونُوا جبهةً واحدةً فقدْ مَارسُوا الحربَ بَيْنَهم سِـنينَ طَويلـة أَضعفَت الغَالـب والمغلُوب فكانتِ النفوسُ مُسْتعدة لقبولِ دَعوة للإصْلاح تؤلفُ بينهُم وَتجعلهم إخوةً مُتحابِّين.. قالَ الله تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

[سورة آل عمران: الآية ١٠٣].

أَضِـفْ إلَى ذلـكَ أنَّ بالمدينةِ قَرَابةً للرسُـول ﷺ، فأخوالُ جَدِّهِ عبد المطلـب مِنْ بَنِى النجَّارِ مِنْ قبيلةِ الخزْرَج، وقدْ دُفِنَ عبدُ الله وَالد الرسولِ بالمدينةِ عندَ عَوْدتهِ منْ تجارةٍ بالشَّام..

وكانتِ السـيدةُ آمنهُ بنْـت وهبٍ أُمُّ النبـىِّ ﷺ تذهبُ كلَّ عامٍ لزيَارةِ قَبْر زوجهَا وَفِى العامِ السَّـادس منَ المولدِ الشريفِ خرجـتْ بهِ إلـى أَقَاربه منْ بنِي النجارِ ومعهَـا أُمُّ أَيمن حَاضِنة رسول الله ﷺوأقامتْ شهرًا ثُم رجَعَت إلى مَكَّةَ فجَاءهَا الموتُ فِى مكانٍ يُسمى الأَبْوَاء بينَ مكَّة والمدينة وَدُفنتْ فيهِ..

وظلَّ الرسـولُ الكريمُ يتذكَّرُ هذهِ الأيَّام مِنْ سِـنى حَيَاته الأُولَى فلمَّا رأَى بعدَ ذلكَ حصْن بنِي النجارِ قالَ: «كنتُ ألاعبُ أنيسةَ جَاريةً منَ الأنصارِ عَلى هذَا الأُطْمُ[1]، وكنتُ معَ الغلمانِ منْ أَخوالِى نُطيِّرُ طائرًا كانَ يقعُ عليْه، وَأَحْسـنتُ العومَ فِى بِئْرِ بنِي عَدِى بن النجار، وههنَا نزلتْ بِى أُمِّى، وَفِى هذهِ الدَّار قَبرُ أَبِى عَبْدِ الله»[2].

لكلِّ هذهِ الأسـبابُ تهيَّأَت قلُوبُ أهْلِ يثربَ للإسلاَمِ ودخَلُوا فِى دينِ الله، وأصبحُوا أنصارَ اللهِ ورسُوله، وكانَ حبُّ الأنصارِ منَ الإيمانِ.

رؤيا فى بركة المدينة

أخرجَ البخارىُّ بِسَنده عنْ عبدِ الله بنِ عُمر رضى الله عنهمَا أَنَّ النبى ﷺ قالَ: «رأيتُ كأنَّ امرأةً سـوداء ثَائرة الـرأسِ خرجَت منَ المدينةِ حتَّى قامتْ بمهيعَة، وهىَ الجُحْفَة، فأَوَّلتها أنَّ وباءَ المدينةِ نُقِلَ إليهَا»..

○○○

هـذهِ الرؤيَا النبويَّة منَ الرؤَى التِى تحتاجُ إلى تعبيرٍ وَتفْسـير، لقدْ رأَى النبىُّ ﷺ فِى منامهِ امرأةً سـوْدَاء ثَائرة شـعْر الرَّأسِ، وَفِى روَاية «تَفِلَة» أَىْ كَرِيهَة الرَّائحة..

---

(١) الأُطْمُ: البيتُ المُرْتفع، والجمع آطام، أُطُوم.

(٢) سبل الهدى والرشاد للإمام الشامى جـ ٢ ص ١٦٤ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

هَذه المرأةُ بتلكَ المواصَفات الذَّميمة خرجَت منْ مدينةِ رسُول الله، وَنَزلت فِـى مَهيعَة[1] وهىَ مكانٌ كانَ يُسـمى الجُحْفَة وهىَ الآنَ تسـمَّى «رابغا» وَهىَ ميقاتُ أهْل مصْر وَالشـام والمغْرب فِى الحجِّ والعُمْرة..

وكانَ تأويـلُ الرؤيَا على أنَّ المدينـةَ المنورَة خَاليَة منَ الأَوْبئةِ، بعيدَةٌ عَن الاضطرابَات، آمنةٌ فِى حدودهَا..

وكلمةُ «السَّوداء» تجمعُ السوءَ والدَّاءَ، فكأنَّ المرأةَ السوداءَ يُراد بهَا كُل مَا يَسُـوء وَيضُر، والشـعرُ الثائرُ يُراد به المرضُ الذِى يجعلُ البدنَ مُقشعرًّا..

وكانتِ المدينةُ قبلَ هجْرة المصطفَى الكَريم مشْهورَة بمرضِ الحمَّى وكانَ مناخُهَا رَدِيئًا، وَتصفُ السيدةُ عائشةُ رضى الله عنها المدينة حَال قدومِ المهاجرينَ إليها فتقولُ - كما فِى صحيح البخارى-:

لمَّا قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ وُعِكَ[2] أبُو بكرٍ وبلاَل، فكانَ أَبُو بكر إذَا أخذتهُ الحمَّى يقولُ:

كـلُّ امـرىءٍ مُصبَّحٌ فِـى أهلِهِ والمـوتُ أَدنَـى مـن شِـرَاكِ[3] نعْلِهِ

---

(١) مَهيعَة - بوزْن عَظيمَة، وَقيل بفتح المِيم وسكُون الهَاء بعدها ياء مفتوحة.

(٢) وُعِكَ بضمْ أوله وكسْر ثانيه أىْ مرضَ.

(٣) الشِّرَاكُ بكسْرِ الشينِ خَيْطُ النَّعْلِ..

وَكان بلاَل إذَا أقلع عنهُ الحمَّى يرفعُ عقيرته[1] ويقولُ:

أَلاَ ليتَ شِعْرِى هَلْ أبيتنَّ ليلةً بــوادٍ وحَوْلـى إذْخِـرٌ وجَليلُ[2]

وهلْ أَرِدَنْ يومـًا ميَـاهَ مجنَّـةٍ وهَلْ يَبْدُوَنْ لِى شَامَة وَطفِيْل[3]

وقالَ: اللَّهم العنْ شـيبَة بنَ ربيعَـة، وعتبةَ بنَ ربيعَة، وأُميَّة بن خلفَ كَمَا أَخرجونَا منْ أرضنَا إلى أرضِ الوبَاء.

ثُم قالَ رسـولُ اللـه ﷺ: اللَّهم حبِّب إلينَا المدينـةَ كحبنَا مكَّة أَوْ أَشد، اللهمَّ بارِكْ فِى صَاعنَا وفِى مُدِّنَا، وصححهَا لنَا، وَانقلْ حُمّاهَا إلى الجُحْفَة.

قالتْ عَائشةُ: وقدمنَا المدينةَ وهىَ أَوْبأَ أَرْضِ الله، وكانَ بُطْحان يجرِى نَجْلا تعنى ماء آجنا[4].

هذَا وصْف المدِينة قبْل الهجـرةِ، بلدةٌ غير طَيِّبة، ماؤهَا مُتغير فَاسِد، وتنتشرُ فيهَا الأمراضُ، وتشيعُ فيها الحروبُ والمنازَعَات.

ولكنْ بمجـردِ الهجرْة تبدّلـت الأحوالُ، وحلّت بركاتُ الرسـولِ وَالمهاجرينَ، فجعلهَا الرسـولُ ﷺ حرمًا آمنًا فقالَ - كما فِى صحيح

---

(١) عَقِيرَتهُ: صَوْتَهُ.

(٢) الإذْخِرْ وَالجليلُ: نوعَانِ منَ النباتِ طَيبُ الرَّائحةِ، والمرادُ بالوادِى وَادِى مكَّة.

(٣) شـامة وَطفيل جَبَلانِ أَوْ عينان بالقُرب منْ مكةَ، ومِيَاهُ مجنةٍ مَوْضِع عَلى بعدِ أميَال من مكة، والمرادُ بهذهِ الأبيَات اسْتعادة ذكريَات مكة التى أُخرجوا منها وَحَنينٌ إليهَا.

(٤) آجِنًا: مُتَغَيِّرٌ للطَعْمِ وَاللَّوْنِ وَالرائحَة.

البخـارِى -: المدينةُ حـرمٌ منْ كذَا إلى كذَا، لاَ يُقطع شـجرهَا ولاَ يُحْـدث فيها حَدَث، مَنْ أَحدثَ حدثًا فعليْهِ لعنةُ الله والملائكة وَالنَّاس أَجْمعينَ.

ورفضَ الرسولُ ﷺ التسمية الجاهليَّةَ «يَثْرِب» منَ التثريبِ وهوَ التوبيخُ والملاَمة، أو من الثَّرْبِ وهوَ الفَسـاد فقالَ - كَمَا فى صحيح البخارى - أُمـرت بقرية تأكلُ القرى، يقولُـون يثرب وهىَ المدينةُ تَنْفِى الناسَ كما يَنْفِى الكيرُ[1] خبثَ الحدِيد.

وَالمعنـىَ أمرنِي ربـىَّ أَنْ أهاجرَ وَأعيشَ فِى قريـةٍ فَضْلها كبيرٌ وخَيْرهَـا كثيرٌ ولاَ يجعلُ للمفسـدينَ فيها جـوارًا ولاَ إقامةً فأهلها والمقيمونَ فيهَا هُمُ الصَّفْوة.

وسـمَّاهَا الرسولُ ﷺ طَابة، ففِى صحيح البخارى بسنده عَنْ أبى حميد قال: أقبلنَا مَع النبى ﷺ منْ تَبُوك حتَّى أشـرفنَا عَلى المدينةِ فقالَ: هَذِهِ طَابة، وَفِى رِوَاية «طَيْبَة» بمعْنى الشَّـىء الطَّيب الزَّكى الرَّائحة فَتُرْبتُهَا وهواؤُهَا وثمرهَا طَيِّب.

وَأَكَّد الرسـولُ ﷺ اسْـتمرار فضـلِ المدينةِ وَبَرَكتهـا عَلى مدَى التاريخِ فقالَ - كما فِى صحيحِ البخارِى:

---

(١) جهازٌ مِن جلْد أو غيرهِ يَستخدمهُ الحدَّادُ للنَّفخ فِى النارِ وَإشعَالها.

«تُفتح اليمنُ فيأتِى قومٌ يُبِسُّون، فيتحملُون بأهْلهم ومَنْ أَطَاعهم، وَالمدينةُ خيرٌ لَهُم لوْ كانُوا يَعلمونَ.

وَتُفتح الشامُ فيأتِى قومٌ يبسُّونَ، فيتحملُون بأهْلهم ومَنْ أَطَاعهم، وَالمدينةُ خيرٌ لَهُمْ لو كانُوا يَعْلمونَ.

وتُفتح العراقُ فيأتِى قومٌ يُبِسُّون فيتحملُون بأهْلهم ومَنْ أَطَاعهم، والمدينةُ خيرٌ لَهم لو كانوُا يعلَمونَ».

ومعنى يُبسُّونَ يُزيِّنُونَ لأهْلهم وأَصْحابهم النقلةَ إلى البلاَد المفتوحَة وترْك المدِينة التِى هىَ حرمُ رسولِ الله وموْطن نُصرته ومهْبط الوحْى ومَنْزل البركاتِ وفيهَا المسجدُ النبوىُّ الشَّريف ثَانِى الحرمَيْن والروْضَة الشَّريفة التِى هىَ منْ ريَاضِ الجنَّة.

وَأَخبرَ المعصومُ ﷺ أنَّ المدينةَ بلدُ الإيمانِ والإسْلام إلى آخرِ الدهرِ ولاَ يدخلها الدَّجال، وهىَ مُباركة ماديًّا ورُوحيًّا، وهىَ تجمعُ خيرَ الدينِ وَالدنيَا ففِى صحيحِ البخارى:

«ليسَ منْ بلدٍ إلاَّ سيطؤُهُ الدّجّالُ إلا مكَّة وَالمدينةَ، ليسَ لهُ منْ نقابهَا نَقْب[1] إلاَّ عليه الملائكةُ صَافِّينَ يحرسُونهَا ثم تَرْجُف المدينةُ بأهلهَا ثلاَث رَجَفَات فَيخرِجُ الله كلَّ كافرٍ وَمُنَافقٍ».

(١) النقْب – المدخلُ أوِ الطَّريق.

وفِى تأكيدٍ آخر قال عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ: «إنَّ الإيمانَ ليأرزُ إلَى المدينةِ كمَا تأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِهَا».

فالإيمـانُ ينتشـرُ فِى البلادِ ويمتـدُّ نورُهُ فِى الآفـاقِ ولكنْ فِى أوقاتِ المحنِ وَالشدّةِ يُسارع أهلُ الإيمانِ إلى اللجوءِ إلىَ المدينةِ وَالاحتماء بهَا، وَشبَّه ذلكَ بالحيَّة تخرجُ مِنْ جُحْرِهَا فِى طلبِ معَاشهَا فإذا خافتْ مِنْ شىءٍ رجعَت مُسرعةً إلىَ جُحْرِهَا..

قال الإمام ابن حجر:

وَكلُّ مؤمنٍ لهُ مِنْ نفسـهِ سَـائق إلى المدينةِ لمحبتهِ فِى النَّبى ﷺ فيشـملُ ذلـكَ جميعَ الأَزْمنةِ، لأنهُ فِى زمـنِ النبى للتعلُّم منهُ، وفِـى زمنِ الصَّحابة وَتَابِعِيهم وتَابيعهـم للاقتداءِ بهدْيهم ومِنْ بعدِ ذلكَ لزيارةِ قبره ﷺ والصَّلاةِ فِى مَسْـجدهِ وَالتبرُّك بمشاهدةِ آثارهِ وآثارِ الصَّحابة[1].

رؤيا فى مستقبل الدعوة

أخرجَ البخارى فى صحيحه بسـندهِ عَنْ أَبِـى هُريرة رضى الله عنه قالَ: قال رسـولُ الله ﷺ «بينَـا أنَا نائمٌ إذْ أتيتُ خَزَائن الأرضِ، فَوُضع فى يدىّ سُـوَاران منْ ذهبٍ فكبرا علىّ وأهمَّانى فَأُوحى إلىَّ

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٤ ص ٩٣.

أنِ انفخُهمَـا، فنفختهمَا، فطارَا، فأَوَّلتهَـا الكَذَّابَيْنِ اللَّذيْنِ أَنَا بينهمَا صَاحب صَنعاء وصاحب اليمامَة».

○○○

بعثَ الله تعالى رسولهَ محمدًا بالهدَى وَدينِ الحقِّ ليظهرَهُ عَلى الدينِ كُله، وجعلَ رسـالتهُ عامَّة خَالدة، وكانتْ كلُّ رسَـالة سَـابقة تخُـصُّ قومًا بِأَعْيُنهم ولاَ تتعدَّى حدودَ موْقعهم الجغْرافى، فأرسـلَ الله نبيَّهُ هودًا إلى قبيلةِ عاد، وأرسلَ صالحًا إلى قبيلةِ ثَمود، وأرسلَ شـعيبًا إلى أهلِ مَدْين، وأرسلَ موسىَ وعيسىَ ومَنْ بينهمَا إلى بنِى إسْرائيلَ خاصَّة.

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

[سورة الأعراف: الآية ١٥٨].

وقال جل شأنه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

والرؤيَا التِى رآهَا رسولُ الله ﷺ تدورُ حَوْلَ هذَا المعْنَى، لقدْ أُتِىَ رسـولُ الله بخزائنِ الأرضِ وَوُضعت أمامـهُ، وَالخزائنُ جَمْع الخِزانة وهىَ مَا يخزنُ فيهِ المالُ والأشياءُ الثمينةُ الَّتِى يُراد حفْظها.

وَالمرادُ بخزائنِ الأرضِ معَادنها وخيراتُهَا، وَفيه دلاَلة عَلى انتشارِ الإسْلام، وَدُخُولِ الناسِ فِى دينِ الله أفواجًا.

لقدْ مكثَ رسولُ الله فى مكةَ ثلاَث عَشرة سنةً قبلَ الهجرةِ وبعدَ البعثة ومَا آمنَ معهُ إلاَّ قَليل، ولمَّا هاجرَ إلى المدينةِ وآمنَ الأنصارُ كانَ عددُ المسلمينَ فِى غزوةِ بدرٍ الكُبرى ثلاثمائة وَبضعة عشر رجلاً، وقدْ وَقعت هذهِ الغزوةُ فِى العامِ الثانِى للهجرةِ..

وَفى صُلح الحدَيبية بعدَ ست سنوات منَ الهجرةِ كانَ عددُ المسلمينَ ألفا وأربعمائة، وَفِى العامِ الثامنِ جاءَ نصرُ الله وفتحُ مكة ودخلَ المسلمونَ فَاتحينَ عائدينَ ظافرينَ بعشرةِ آلاف مُسْلم يُرَدِّدُون فِى جنباتِ الكَوْنِ الله أكبر.. الله أكبر.. لاَ إله إلا الله وحْدهُ صدقَ وعدهُ ونصرَ عبْدهُ وهزمَ الأحزابَ وحدهُ.

وبعدَ سَنتين أُخريينِ وَفِى العام العَاشر للهجرةِ أَدَّى رسولُ الله ﷺ حجةَ الوداعِ ومعهُ مائة ألفٍ أو يزيدونَ، شعارهُم يومئذٍ:

لبَّيْكَ اللَّهم لبَّيك، لبيكَ لا شريكَ لكَ لبيك إنَّ الحمدَ والنعمةَ لكَ والملكَ لاَ شريكَ لكَ.

وتوالتِ الفتوحَات الإسْلاميةُ فِى عهدِ الخلفَاء الرَّاشِدينَ لتحريرِ الإنسَان منْ عبادةِ البشرِ والحجَرِ والشَّجرِ، والحفاظِ عَلى حقوقِ الإنسانِ

حتَّى بَلغت كلمةُ التوحيدِ منَ المحيطِ إلى المحيطِ فِى زمنٍ قِيَاسِىٍّ لم يسْبق ولم يلْحق، وكانتِ الحضارةُ الإسلامية نورًا عَلى نُورٍ..

ومهمَا كانتْ الدعوةُ هِىَ الحقُّ والخيرُ والنورُ وَالهُدى إلاَّ أَنَّ هناكَ عَقَبات قَدْ تقفُ فِى سبيلهَا وتصدُّ عنها وَتثيرُ الأَكاذيبَ حولهَا، ومن هنَا جاءَ الجزءُ الثانِى منْ رؤيَا رسـولِ الله ﷺ يُوضح هذَا الموقفَ ويبينُ عَاقبتهُ، لقدْ رأَى رسـولُ الله أنهُ وُضِعَ فى يديه سـوَاران منْ ذهبٍ، وحيثُ إنَّ الذهبَ مِنْ حِليَة النسـاءِ وممَّا يُحرَّمْ عَلى الرجالِ فقدْ عَظُم الأَمرُ على رسُولِ الله وأصابهُ الهَمُّ وَأخذتهُ الحَيْرَةُ..

فأوحَـى الله إليه أَنْ يَنْفُخَ هذيْن السـوَاريْن وبمجردِ النفْخِ طارَ السوَاران مِنْ يَدَى رسولِ الله ﷺ.

فكيفَ كانَ تأويلُ هذهِ الرؤيَا؟

لقـد ظهـرَ عَلى عهدِ رسـولِ اللـه ﷺ أَدْعياءٌ للنبـوة وكذَّابونَ يزعُمونَ أَنَّ الوحىَ الإلهى يصلُ إِلَيْهِم، فظهرَ الأسـودُ العَنْسِـىُّ فِى صنعَاء ومُسيْلمة فِى اليمامَة.

وعَظُمت شوكَةُ الأَسودِ العَنْسِى حتَّى اسْتولَى على اليمنِ بأجمعهِ وقتـلَ حاكمَ صَنعاء منْ قِبَلِ رسُـول الله ﷺ وتـزوَّجَ بامرأتهِ إلاَّ أَنَّ

المسلمينَ استطاعُوا بحيلةٍ وبمسَاعدةِ هذِهِ الزوجَة التِى ظلَّت عَلى إيمانهَا أَنْ يتسـلَّلُوا إلى فراشِ الأسودِ وَيقتلُوه وكانَ ذلكَ فِى أواخرِ عَهْدِ رسولِ الله ﷺ.

أَمَّا مُسَـيْلمة فقدِ ادَّعـىَ النبوةَ فِى حياةِ رسُـول الله ولكنْ لمْ تَعْظم شـوكتُهُ إلاَّ فِى خلافةِ أبِى بكرٍ أثنـاءَ حروبِ الردَّة، وَقدْ لَقى مُسَـيْلمةُ حتفهُ عَلى يدى وحْشـى قَاتل حَمْزة عَم رسـول الله فِى غَزْوةِ أُحُد، يقولُ وحْشِى:

«فلمَّا خرجَ المسـلمونَ إلى مُسَـيلمة الكذَّاب صَاحب اليمامةِ خرجْتُ مَعَهـم وأخذتُ حَرْبتى التِى قتلْتُ بهَـا حَمزة، فلمَّا التقَى الناسُ رأيتُ مُسَـيلمةَ الكـذَّابَ قائمًا فِى يدهِ السَّـيف ومَا أعرفهُ، فتهيَّـأتُ لهُ وتهيأَ لهُ رجُل مـنَ الأنصارِ منَ الناحيـةِ الأُخرى، كلانَا يريـدهُ فهززْتُ حَرْبتى حتَّى إذَا رضيتُ منهَـا دَفعْتها عليهِ فوقعتْ فيهِ وَشـدَّ عليهِ الأنصارىُّ فضربهُ بالسَّيفِ فربكَ أعلمُ أَيُّنا قتلهُ، فإنْ كنـتُ قتلتهُ فقـدْ قتلتُ خيرَ الناسِ بعدَ رسُـول الله ﷺ وَقدْ قتلتُ شرَّ الناسِ».

فحاصـلُ تأويـل الرؤيَـا أَنَّ السـواريْن همَا الأَسـودُ العنْسـى ومُسَيلمة الكذّاب أَحاطَا برسُول الله، أحدهمَا فِى صنعاءَ والآخرُ

فِى اليمامةِ، وأهلُ هاتيْنِ المنطقتيْنِ كالسَّاعديْن للإسْلاَم، وكونُ السواريْن منْ ذهبٍ إشَارة إلى انخداعِ الناسِ بهمَا وزُخرف قولهمَا والزخرفُ منْ أسماءِ الذهبِ، والنفخُ دلاَلة عَلى حقارةِ أمرهمَا فكلُّ ما يذهبُ بالنَّفْخِ يكونُ تافهًا حَقيرًا، والمرادُ الحقَارةُ المعنويَّة.

وطيرانُ السواريْن إشارةٌ إلىَ اضمحلاَل أَمْر هذيْن الكذَّابيْنِ وَانتهاءِ دَعْوتهمَا، وذهَابِ شوكتهما، وَعوْدةِ الأُمور إِلَى نِصابهَا.

رؤيا فى الخلافة

أخرجَ البخارىُّ فِى صحيحهِ أَنَّ النبى ﷺ قالَ:

«بينَا أنَا عَلى بئرٍ أَنزعُ منهَا إذْ جاءنِى أَبُو بكرٍ وَعُمرُ، فأخذَ أَبُو بكر الدلوَ فنزعَ ذنوبًا أَوْ ذنوبَيْن، وفِى نزْعه ضعْف، فغفرَ الله لهُ، ثمَّ أخذهَا عُمر بنُ الخطابِ منْ يدِ أَبِى بكرٍ فاسْتَحَالَتْ فِى يدهِ غَرْبًا، فلمْ أرَ عبقريًّا منَ الناسِ يَفْرِى فَرْيَهُ حتَّى ضربَ الناسُ بعَطَنٍ».

معانى بعض المفردات:

البئر: عيْنٌ مَائيةٌ فِى الأَرْض.

أَنْزعُ: أَسْتخرجُ منهَا الماءَ.

الدَّلْو: شَيءٌ يُستخرجُ فيهِ الماءُ ويُصنعُ منْ جُلودِ الأنعَام.

ذَنُوبًا: الدَّلو الممتلىءُ بالماءِ.

غَـرْبا: بفتح الغين المعجمة وسكُون الراء بعدها مُقابل الشَّرق، والمعنَى هنَا الدلو العَظيمة المتخذةُ من جلُود البقرِ.

عَبْقريًّا: عَبْقَرِيُّ القومِ سَيِّدهُم وَقويُّهم وكبيرُهُم، وقيلَ إنَّ عَبْقر موْضع بالبَادية أوْ مِن أَرضِ الجنِّ وصَار مثلاً لكلِّ مَا يُنسبُ إلى شيءٍ نفيسٍ.

يَفْرِى: يعملُ عملَهُ بقوةٍ وعزْم ونشاطٍ، وَيَفرى - بفتح الأول وسكون الثانى وكسر الثالث، فَرْيَهُ أى عمله بفتح الفاء وسكون الراء، وقيل وهو الأصح بفتح الفاء وكسر الراء وتشديد الياء.

العطن: العطن للإبلِ كالوطنِ للنَّاسِ، لكنْ غلبَ عَلى مَبْرِكِ الإبلِ حول الحوْضِ لكَثْرةِ الماءِ المتفجِّرِ.

المعنى العام:

هـذهِ رؤيَا مَنَاميَّة لرسُـول اللـه ﷺ تتعلَّق بمسْـتقبلِ الأُمةِ السِّياسـى، لقدْ رأَى الرسـولُ الكريـمُ أنهُ وَاقف عَلى بئـرٍ مَائيّة يَستخرجُ منهَا الماءَ ليسْقىَ الناسَ، وَحضَرَ أَبو بكر الصِّديق وعمرُ بـنُ الخَطَّاب رضـى الله عنهما أثناءَ عملِ الرسـولِ فِى هذَا الماءِ

فأخـذَ أَبو بكرٍ الدَّلو وبدأَ يَسـتخرجُ منهُ المـاءَ ويواصلُ تقريبَهُ للناسِ فاسـتخرجَ دلوًا أَوْ دلويْن ولكنهُ لمْ يُوَاصل وكانَ فِى نزعهِ ضعْف فجاءَ بعدهُ عمرُ بنُ الخَطَّاب وكانَ قويًّا فسـالَ الماءُ كثيرًا وَارْتـوى النَّاسُ والأنعَـامُ وتحوَّلَت الأرضُ حولَ البئْـرِ إلَى قِيعَانٍ مَمْلُوءةٍ بالماءِ جعَلت الإبلَ تبرُكُ فيهَا وتشـربُ منهَا وتسـتمتعُ ببردِ الماءِ وَكثرته..

وفى تفسيرِ هذه الرؤيَا قالَ الإمامُ البيضاوِى:

أشارَ بالبئرِ إلى الدينِ الذِى هوَ منبعٌ، ماؤُهُ حيَاة النفوسِ وتمامُ أمرِ المعاشِ وَالمعَاد، والنزعُ منهُ إخْرَاج الماء وفيهِ إشَـارةٌ إلى إشَـاعة أَمـره وإجْرَاء أَحكامهِ، وَقوله «يغفرُ الله لهُ» إشـارة إلى أَنَّ ضعفهُ - المـراد به الرِّفق - غيرُ قـادحٍ فيهِ ، أوِ المرادُ بالضعْف مَا وقعَ فِى أيامـهِ منْ أمرِ الردَّة واختـلافِ الكلمةِ إلىَ أَنِ اجتمعَ ذلكَ فِى آخرِ أَيَّامه، وتكمّلَ فى زمَان عُمر، وإليهِ الإشَارةُ بالقوةِ[1].

وقال الإمام النووى:

هـذَا المنامُ مثالٌ واضحٌ لمَا جَـرى لأبِى بكرٍ وعُمر رضى الله عنهما فِى خلافتهما وحُسْـن سـيرتهمَا وظُهـور آثارهمَا وانتفَاع

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٧ ص ٣٩.

النـاسِ بهمَا، وكل ذلـكَ مأخُوذ من النبىِّ ﷺ وَمِـنْ بركتهِ وَآثارِ صُحبته..

فـكانَ النبىُّ ﷺ هوَ صاحـب الأمرِ، فقامَ بهِ أكمـلَ قيامٍ، وَقرَّر قواعدَ الإسلامِ ومهَّد أُمُوره وَأوْضح أصُولَه وفروعَهُ ودخلَ الناسُ فِى دينِ الله أفواجًا وأنزلَ الله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

[سورة المائدة: الآية ٣].

ثُمَّ تُوُفى رسـولُ الله ﷺ فخلفهُ أَبُو بكر رضى الله عنه سـنتيْن وأشـهرًا وهوَ المرادُ بقوله «ذَنوبًـا أَوْ ذنُوبيْن».. وحصلَ فِى خلافتهِ قِتَالُ أهل الردَّة وقطْع دَابرهم وَاتسَاع الإسْلام، ثُمَّ تُوفى فخلفهُ عمرُ بنُ الخطابِ فاتسـعَ الإسـلامُ فِى زمنهِ وَتقررَ لَهم منْ أحكامهِ مَا لمْ يقعْ مثلهُ..

فعبـرَّ بالقليب - البئْر - عَنْ أَمْرِ المسـلمينَ لمَـا فيهَا منَ الماءِ الذِى به حَيَاتهم وصَلاَحهم، وشـبَّهَ أَميرَهُم بالمسْتقَى لَهُم، وَسُقيهِ هوَ قيامهُ بمصَالحهم، وَتدْبير أُمُورهم.

وأمَّـا قولهُ ﷺ فى أَبى بكر رضى الله عنـهُ «وَفِى نَزْعهِ ضعْف. فليـسَ فيهِ حَطٌّ منْ فضيلةِ أَبِى بكر ولاَ إثبـات فضيلةٍ لعُمر عليْه،

وإنمَـا هوَ إخْبار عَـنْ مُدَّة ولاَيتهما، وَكثرة انتفَـاع الناسِ فِى ولاَية عُمر لطولهَا ولاتسَـاع الإسـلاَم وبلاَده وَالأموَالِ وغيرهَا منَ الغنائمِ والفتوحَات..

وأَمَّا قولهُ ﷺ «والله يغفرُ لهُ» فليسَ فيهِ تنقِيصٌ لأَبِى بكرٍ ولاَ إشارةٌ إِلـى ذَنْبٍ وإنمَا هىَ كلمةٌ كانَ المسـلمونَ يدعمـونَ بهَا كَلاَمهم، وَنعمَتِ الدعَامَة»[1].

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٥ ص ١٦١.

هيَّا نقترب من عالَم الأحلام الذى يتراءَى للناس فى منامهم ، ويستغرقُ ثلث عمرهم - تقريبًا - .

وهذه السلسلة تكشف عن كثير من قضايا الدين، والحياة، وتربط المسلم بالملأ الأعلى، وتعمِّق صلته بالله تعالى، وتقدِّم مبادئ وقيما وسلوكا ينفع الناس، ويمنحهم الرضا وانشراح الصدر وطمأنينة النفس، إلى جانب ما سوف تقدم من متعة وتشويق ومعلومة دقيقة محققة، يقدِّمها لنا العالم الإسلامى الكبير الأستاذ الدكتور محمد سيد أحمد المسير ..

صدر منها :

١ - عالم الأحلام .
٢ - تفسير الأحلام .
٣ - أحلام أبى الأنبياء - إبراهيم عليه السلام .
٤ - أحلام يوسف الصديق عليه السلام .
٥ - أحلام النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن العظيم .
٦ - أحلام النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة المطهرة .
٧ - رؤى نبوية لنعيم الآخرة وعذابها .

٢٥٤٠٠٩/٠١